

في نور محمد فاطمة الزهراء

وانطلق زهير ومعه ثلاثته تلك إلى أندية القوم، حتّى إذا طاف بالبیت وفرغ من طوافه، نادى في الناس: يا أهل مكة! فألقوا إليه بالسمع والبصر والفؤاد. قال: يا أهل مكة، أنأكل الطعام، ونلبس الثياب وبنو هاشم هلکی لا یُباع لهم ولا یبتاع منهم؟! وإلا لا أقعد حتّى تشقّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة. وعلى الأثر انتفش أبو جهل غضباً وصرخ: کذبت، وإلا لا تُشَقّ. قال له أحدهم: أنت وإلا أكذب، ما رضينا کتابتها حيث کتبت. وآزره أصحابه ومن ورائهم جمع ممّن شهد هذا الموقف، حتّى تعالی الصياح، وهدر هديرًا غرق فيه صوت أبي جهل: طاغية بني مخزوم. وخسئ الجَهْلُول الغَشُوم. عيي لساناً وحركةً إلاّ أن أخذ يضرب كفّاً بكفّ، ويقلّب فيهم عينيه كأنّه مأخوذ ممسوس، وهو يردّد وقد خنقه حنقه: هذا أمر قُضي بلیل، هذا أمر قُضي بلیل، وتشوور فيه بغير هذا المكان! * * * وماجت الجموع [543]، واختلطت الأصوات، واختلفت الآراء، افترق الناس فرقين عظیمین كما انشقّ بحر فرعون عندما ضربه موسى بعصاه، وعربدت [544] الألسنة من أولئك وهؤلاء عريدةً عشواء، تفصح کإبهام، وتبهم کإفصاح، حتّى لا یُدْرِی أصياحها الكلام أم کلامها هو الصياح. ثم کان لابدّ من نهاية للرواية، کان لابدّ من طيّ السجلّ، ورفع الأقلام. وعندئذ ظهر أبو طالب إذ قُدِّر له أن یكون هو من یجهز على ذلك الجدال، ویضع حدّاً لحيرة الجمهور، من شعبه حيث قطعه استبداد قريش، سعى إلى مكة لينقل إلى سادة قريش قول ابن أخيه عسی أن یکفّوا عن البغي الذي سدروا فيه.